حماية الوطن
وأثرها فى تحقيق استراتيجية التقدم

إعداد الدكتور

محمود رشاد محمد عبد النبي

الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية

كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

حماية الوطن وأثرها فى تحقيق استراتيجية التقدم

محمود رشاد محمد عبد النبي

قسم الثقافة الإسلامية- كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة- جامعة الأزهر- مصر

البريد الإلكترونى dr.mrma٥٥٥٥ @gmailcom

الملخص:

يبيّن البحث أن حب الإنسان لوطنه حب طبيعي مركوز فى فطرته لا يتخلى عنه مهما قابل من المتاعب والمشكلات، لذا قضت الشريعة بالتغريب سنة على الزاني غير المحصن كعقوبة من تمام الحدّ؛ ليستشعر الغربة النفسية عن وطنه، وينزجر عما يفعل؛ ويأتي البحث ليبين أن الإسلام نهى عن كل ما يزعزع الأمن والاستقرار؛ كتكفير المسلمين، واستحلال دمائهم، ومحارمهم، واعتبار بلادهم بلاد كفر، وكالفهم الخاطئ لدار الكفر ودار الإسلام، ومعنى جئتكم بالذبح، وبُعِثْتُ بِالسَّيْفِ..؛ ولا يخفى على ذى لبّ أنّ الفهم الخاطئ لمثل هذه القضايا يزعزع الأمن والاستقرار، ويمنع من التقدم والازدهار؛ لذا وجب تصحيحها؛ وهذا ما قام البحث ببيانه، ثم يأتى البحث ليبين أهم مرتكزات تقدم الوطن وازدهاره ، وتتمثل فى: المحافظة على النسيج الداخلي للمجتمع لمنع التناحر، والتقاتل، وفقد الأمن، وانتهاك بيضة الأوطان، وفى التعاون مع ولاة الأمر، والبعد عن التفرق والتشرذم؛ فقوة الوطن وتقدمه تكمن فى طاعة أولى الأمر وتوقيرهم من جانب المحكومين، والشفقة والرأفة من جانب أولى الأمر، ثم يأتي البحث ليبين أن من أهم عوامل تقدم الوطن وازدهاره العمل الجادّ المثمر، واستجلاب المستجدات التى تخدم الوطن ولا تتعارض مع الدين، والمساهمة فى كفّ الأذى عن الوطن بجميع أنواعه؛ حتى يظل سامقا شامخا أمام كل العقبات.

الكلمات المفتاحية : حماية – الوطن - وأثرها - تحقيق – استراتيجية - التقدم

Protecting the homeland and its impact on achieving the progress strategy

Mahmoud Rashad Mohammed Abd-Elnaby
The Islamic Culture Department, Faculty of Islamic Call in Cairo, Al-Azhar University, Egypt
E-mail: dr.mrma5555@gmailcom

Abstract:

The research indicates that man's love for his homeland is natural and deep- rooted in his instinct which he never gives up no matter how much trouble or problems he encounters. Therefore, the Sharia decreed aone-year alienation for the unscrupulous adulterer as a punishment for complete punishment. To feel the psychological alienation from his homeland, and withdraw from what he does .In addition, the research come to show that Islam forbids everything that undermines security and stability such as Muslims' infidelity, blood and incest permissibility and considering their country a country of infidelity, and misunderstanding for " Dar El-kofr" and "Dar El-slam"; " I come to you by killing" and" I was sent by the sword". It is no secret for those with reason that a wrong understanding of such issues undermines security and stability, and prevents progress and prosperity. So it had to be corrected .This is what the research showed. Then the research comes to show the most important foundations for the progress and prosperity of the homeland, which are represented in: preserving the internal fabric of society to prevent conflict, fighting, loss of security, and violation of the sanctity of homelands. Moreover, cooperating with the rulers of the matter, and keeping away from division and fragmentation. As the strength and the progress of the nation lies in the obedience and

the respect for the rulers on the part of the condemned and at the same time the pity and compassion for the condemned on the part of the ruler. Then the research come to indicate that the most important factors behind nation's progress and prosperity is the fruitful hard-work and the new developments, that don't conflict with religion, being brought to serve the country and contributing to stop harm of all kinds to the homeland so as to be lofty and arrogant before all obstacles.

Key words:

Homeland, Security, Stability, Progress, Rulers, obedience, Wrong Understanding Islam

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد،،،

فإن الوطن نعمة عظيمة لا يعرف قدرها إلاّ من حرمها؛ ففيه ينعم الإنسان بالأمن على نفسه، وماله، وعرضه، وفيه يعيش، ومن خيراته يأكل، وبين جنباته ينمو ويكبر؛ وإزاء هذا الحب فإن المرء مأمور بحمايته بالنفس والنفيس، ووضع الرؤى المستقبلية والخطط الاستراتيجية لتنميته وازدهاره، وصرف الأخطار عنه، وتوفير البيئة المناسبة للطاعة والعبادة.

وتكمن أهمية الموضوع فى الوقاية مما نراه فى العصر الحديث من تمزق بعض الأوطان، وكثرة الهرج والمرج فيها، وتشتت أهلها يمينا وشمالا، وتوقف عجلة التنمية، وانتشار العوز والحاجة كنتيجة طبيعية للمفاهيم المغلوطة، والأفكار السقيمة، مما يستوجب تجلية الحق، وردّ الشبهات.

منهج البحث: انتهجنا فى هذا البحث المنهج التحليلي الذي يعتمد على المناهج الأخرى؛ كالاستقرائى[١] والتاريخى[٢] والمقارن[٣] نظرا لما يستوجبه البحث من استقراء، ومقارنات، واستنباطات؛ حتى تخرج الأحكام دقيقة، وهادفة، مفيدة.

الدراسات السابقة: تعددت الدراسات السابقة حول موضوع الأوطان، واتخذت جوانب متعددة فى الحديث عنها، فمنها من درس الجانب القانونى

---

(١) المنهج الاستقرائي يعنى: (استنتاج قضية عامة من قضية جزئية، واستخلاص نتائج من شيء نعرفه معرفة يقينية تلزم عنه) أ.د حلمى صابر - مناهج البحث العلمي وضوابطه فى الإسلام- صـ٤٣،٤٤- ايجيبت للطباعة ط٢ ٢٠٠م.

(٢) المنهج التاريخي هو الذى يتطلب (طرق التحليل والتركيب التاريخية، وفحص الوثائق) ا.د /على سامى النشار- مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي فى العالم الإسلامى– صـ ٢٧١ دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٨م.

(٣) المنهج المقارن يعنى: (إجراء مقارنات بين الظواهر المختلفة لاكتشاف العوامل التى تصاحب حدثا معينا) د/ ذوقان عبيدات وآخرون- البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه صـ٢٥٦دار الفكر ط١٤١٨ه-١٩٩٨م

لحمايتها، ومنها من درس الجانب التاريخى فيها، ومنها من درس الطرق العلمية والعملية لحفظها ورعايتها؛ لذا سنأتي بنماذج لهذه الجوانب المتعددة؛ لنبيّن فى النهاية ما سينفرد به هذا البحث عن غيره :

١- حب الوطن نظرة تأصيلية شرعية. د/ أسامة السيد الأزهرى مستشار رئيس الجمهورية للشئون الدينية/ مصر- موقع مجلة حراء.العدد٦٠- قضايا فكرية. مفهوم الوسطية والعنف- ٣يونيو٢٠١٧م تناول فيه فطرة حب الوطن، وبيّن أن دائرة حب الوطن لا تتعارض مع دائرة انتماء المسلم لدينه أو أمته الإسلامية بل تتكامل معهما، وتناول البحث كلام بعض المفسرين والمحدثين فى ذلك؛ و يفترق هذا البحث عنه فى كثير من القضايا المعاصرة؛ حيث تم ذكر مرتكزات حماية الوطن؛ وقام البحث بتفنيد المزاعم الفاسدة التى يتخذها البعض سبيلا لتدمير الأوطان، واستحلال محارمها، وتناول ارتباط رؤى التقدم الاستراتيجية بالوطن الآمن، وبيّن محاربة الإسلام لكل ما يزعزع الأمن والاستقرار.

٢- هل حب الوطن من الإيمان؟ أيمن السعداوى- شبكة الألوكة- يناير٢٠١٧م ويقع فى ست وثلاثين صفحة غير مقسمة إلى أبواب وفصول، تناول فيه الباحث مسألة واحدة فقط وهى الحب للوطن بين الحب الفطرى والحب الشرعى، وبحثى هذا يختلف عنه فى تناوله كثيرا من القضايا لم يتناوها هذا الكتاب مثل مرتكزات حماية الوطن ، وتفنيده المزاعم الفاسدة التى تزعزع الأمن والاستقرار، وإزالة معوقات حماية الوطن لتحقيق البعد الاستراتيجى فى التقدم،.. إلخ.

٣- دور تدريس مادة التربية الوطنية فى تنمية قيم المواطنة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية دراسة من وجهة نظر معلمى التربية الوطنية بمحافظة الليث- إعداد الطالب/ عطية بن حامد بن ذياب المالكى- إشراف د/ فوزى بن بنجر الأستاذ المشارك بقسم المناهج وطرق التدريس بكلية التربية- جامعة أم القرى١٤٢٩ه /١٤٣٠ه . تناولت الدراسة جانبين الجانب النظرى والجانب الميدانى، أما الجانب النظرى فتناول فيه مفهوم الوطن والمواطنة، ومبادئ وقيم المواطنة، والتربية الوطنية وأثرها فى طلاب المرحلة الابتدائية، والتعليق على ذلك، وتناول الجانب الميدانى الإجابة على أسئلة

الاستبيان المطروحة، وتحليل ذلك. وهذه الدراسة تختلف عن موضوع بحثنا ولا تتفق معه إلا فى جزء مفهوم، ومبادئ، وقيم الوطن والمواطنة؛ وإن كان التناول مختلفا.

طريقة البحث: سلكت فى هذا البحث ما يلى:

- مراعاة الحيدة العلمية فى البحث، خاصة فى الأمور التى فيها مقارنات.
- الحرص على الأمانة العلمية، وعزو كل نص إلى قائله.
- تخريج الأحاديث من مظانها، وإذا كان الحديث فى الصحيحين ذكرت رقم الحديث وبابه وكتابه، وإذا كان فى غيرهما زدت عملاً آخر وهو الحكم عليه وبيان درجته.
- توضيح الكلمات الغامضة؛ ليكون المعنى واضحاً، وبعيدا عن الجهالة.

توضيح عنوان البحث توضيحاً ينفى الجهالة بمقصوده ودلالته.

خطة البحث:

جاء البحث مكونا من مبحثين؛ المبحث الول جاء بعنوان:

(ارتباط التقدم فى شتى المجالات بالوطن الآمن) وتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: حماية الوطن ثمرة لحبه.

المطلب الثانى: ارتباط التقدم فى شتى المجالات بالوطن الآمن.

المطلب الثالث: إزالة معوقات حماية الوطن لتحقيق استراتيجية التقدم.

وأما المبحث الثاني فجاء بعنوان:

(مرتكزات حماية الوطن لتحقيق استراتيجية التقدم) وتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول: المحافظة على النسيج الداخلى للمجتمع .

المطلب الثانى: الاستفادة من ماضى الأمة للانطلاق نحوالمستقبل المزهر.
المطلب الثالث: العمل على قوتـه وتقدمه .

وانتهى البحث بالخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات ثم ثبت المصادر والمراجع ثم الفهرس.

تمهيد

مفهوم عنوان البحث

يدور مفهوم عنوان البحث حول مفردات العنوان وهي :

١- **(حماية):** تدور كلمة حماية حول المنع، والدفاع، والزود عن الشيء، يقول ابن منظور- رحمه الله:(حَمَى الشيءَ حَمْياً وحِمىً وحِماية ومَحْمِيَة منعه ودفع عنه.. والحِمْيَة والحِمَى ما حُمِيَ من شيءٍ وكلأٌ حِمىً مَحْمِيٌّ.. وحَمَى المَريضَ ما يضرُّه حِمْيَةً مَنَعَه إيَّاه ..وحَمَى أَهلَه في القِتال حِماية... والحامِيَةُ الرجلُ يَحْمِي أَصحابه في الحرب وهم أَيضاً الجماعة يَحْمُون أَنفُسَهم ،..وفلان على حامِية القوم أَي آخِرُ من يَحْمِيهِمْ في انْهزامِهم، وأَحْمَى المكانَ جعله حِمىً لا يُقْرَب، الحِمَى موضع فيه كَلأٌ يُحْمَى من الناس أَن يُرْعى.. وفلان حامي الحقِيقةِ مثل حامي الذِّمارِ والجمع حُماةٌ وحامِية)[١] .

٢- الوطن :

أولا: الوطن فى اللغة: جاء فى لسان العرب: (وطن) الوَطَنُ المَنْزِلُ تقيم به وهو مَوْطِنُ الإنسان ومحله، والجمع أَوْطان، وأَوْطانُ الغنم والبقر مَرَابِضُها وأَماكنها التي تأْوي إليها، وَطَنَ بالمكان وأَوْطَنَ أَقام، يقال أَوْطَنَ فلانٌ أَرض كذا وكذا أَي اتخذها محلاً ومُسْكَناً يقيم فيه، وأَوطَنْتُ الأَرض ووَطَّنْتُها تَوطِيناً واسْتَوْطَنْتُها أَي اتخذتها وَطَناً وكذلك الاتِّطانُ)[٢] .

ثانيا: الوطن فى الاصطلاح: (الوطن الأصلي هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه، ووطن الإقامة موضع ينوي أن يستقر فيه خمسة عشر يوما أو أكثر من غير أن يتخذه مسكنا)[٣] .

---

(١) محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري- لسان العرب- مادة حما- جـ١٤ صـ١٩٧- دار صادر بيروت- بدون.

(١) المرجع السابق: مادة وطن- جـ١٣ صـ٤٥١المرجع السابق.

(٢) علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات- تحقيق : إبراهيم الأبياري - باب الواو جـ١صـ٣٢٧ - دار الكتاب العربي – بيروت طـ١، ١٤٠٥هـ

مما سبق يتبين:

١- اتفاق التعريف اللغوي مع الاصطلاحي فى كون الوطن المكان الذى ولد فيه الإنسان، ويعيش بين ربوعه، وهو يختلف عن وطن الإقامة الذى لا يستقر فيه الإنسان بل يعيش فيه مدة معينة ثمّ يغادره.

٢- حماية الوطن تعنى: الدفاع عنه، والزود عن بيضته، ومنع أى مكروه أن يحدث فيه؛ واجتهاد الإنسان فى ذلك بكل ما أوتى من قوة .

٣- ومما يجب بيانه أن " العرب تفرق في الأوطان فتقول لسكن الإنسان وطن، وللإبل عطن، وللأسد عرين وغابة، وللظبى كناس، وللذئب وجار، وللطائر عش، وللزنبور كور، ولليربوع نافقاء، وللنملة قرية)[١]

٣- استراتيجية:

جاء فى معجم اللغة العربية المعاصرة (اسْتراتيجيَّة) بمعنى:

١- " فن وعلم وضع خُطط الحرب وإدارة العمليَّات الحربيَّة "إستراتيجيَّة القوَّات المسلَّحة".

٢ - خُطَّة شاملة في أي مجال من المجالات "وضعت الحكومة إستراتيجيَّة مستقبليَّة للنهوض بالاقتصاد القوميّ".

٣ - براعة التَّخطيط "لهذا الحاكم استراتيجية سياسيَّة واضحة" [٢]

مما سبق يتضح أن كلمة (اسْتراتيجيَّة) تعنى: الخطط المرسومة لتحقيق هدف معين، فإذا قلنا: اسْتراتيجيَّة التقدم فإننا نعنى الخطط المرسومة لتحقيق التقدم، وكلمة (اسْتراتيجيَّة) كلمة أجنبية ترجمت إلى العربية، واستخدمها الباحث لكثرتها على الأقلام، والألسنة؛ مما يستوجب بيانها لتحقيق المعنى المراد منها، ومنع التدليس فى معناها.

---

(٣) فيض القدير- جـ٤صـ٦٧٣ - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان طـ١، ١٤١٥ ه - ١٩٩٤ م

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر، وآخرون- كلمة (إ س ت ر ا ت ي ج ي ي ة)- جـ١صـ٩٠-عالم الكتب- ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

فالبحث إذن: هو دعوة للحفاظ على الوطن، وبيان لمرتكزات حمايته، وردّ على الأفكار التى تنخر فى أمنه واستقراره؛ لتحقيق خطط التقدم المطلوبة .

المبحث الأول

ارتباط التقدم فى شتى المجالات بالوطن الآمن

وتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول
حمايـة الوطـــن ثمرة لحبــه

المطلب الثانى
ارتباط التقدم فى شتى المجالات بالوطن الآمن

المطلب الثالث
إزالة معوقات حماية الوطن لتحقيق استراتيجية التقدم

المطلب الأول

حماية الوطن ثمرة لحبه

يحب الإنسان وطنه الذى نشأ وترعرع فيه حبا طبيعيا مركوزا فى فطرته، لا يتخلى عنه مهما قابل من المتاعب، أو صادف من المشكلات، وهذا الحب الفطرى للوطن بيّنته الأدلة الشرعية:

١ - فالقرآن الكريم فى حديثه عن الأنبياء مع أقوامهم؛ بيّن أن من أهم أسباب رفض دعوات الأنبياء عليهم السلام هو ظنّ بعض المدعوين السيء بأن الأنبياء يبغون من دعوتهم هذه إخراجهم من أرضهم التى أحبوها واختلطت بعروقهم ودمائهم وأخذها منهم، والسيطرة عليهم.

مثال ذلك: ما جاء من ردّ فرعون وملئه على سيدنا موسى عليه السلام عندما دعاهم إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴾(١).

يقول الإمام الرازى- رحمه الله-: (وتركيب هذه الشبهة عجيب وذلك لأنه ألقى في مسامعهم ما يصيرون به مبغضين له جداً وهو قوله : {أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا} وذلك لأن هذا مما يشق على الإنسان في النهاية ولذلك جعله الله تعالى مساوياً للقتل في قوله :﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن ﴾(٢) .

(١) سورة طه : الآيات من ٥٦ إلى ٦٤
(٢) سورة النساء : الآية ٦٦

وقوله: {يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم} نهاية فى التنفير لأن المفارقة عن المنشأ، والمولد شديدة على القلوب، وهذا هو الذي حكاه الله تعالى عن فرعون في قوله: {أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـامُوسَى} وكأن السحرة تلقفوا هذه الشبهة من فرعون ثم أعادوها)[1] وإنما قال فرعون تلك المقالة (ليحمل قومه على السخط على موسى والغضب منه ، بإظهار أن مراده ليس مجرد إنجاء بنى إسرائيل من أيديهم ، بل مقصوده إخراج القبط من أوطانهم ، وحيازة أموالهم وأملاكهم جملة، وبذا يسدّ عليه الباب فلا يتوجه أحد إلى اتباع دعوته، مبالغة فى المدافعة عن بلادهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ولا ينظرون إلى معجزاته، ولا يلتفتون إلى ما يدعو إليه من الخير)[2].

٢- أكدت السنة النبوية المطهرة أن حبّ الوطن أمر فطرى؛ يظهر ذلك فى موقف خروج النبي (ﷺ) من مكة مهاجرا إلى المدينة (فعن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري: قال: رأيت رسول الله(ﷺ) وهو على راحلته بالحزورة يقول: و الله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله و لولا أني أخرجت منك ما خرجت)[3] .

وهذا سيدنا بلال ابن رباح -رضى الله عنه- عندما هاجر إلى المدينة وأصيب بالحمى أخذ يتذكر موطنه الأصلى، ويذكر سهوله، وهضابه، وجباله، وأشجاره،...(فعَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - أَنَّهَا قَالَتْ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلاَلٌ - قَالَتْ - فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فَقُلْتُ يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ وَيَا بِلاَلُ ، كَيْفَ تَجِدُكَ قَالَتْ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِى أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَكَانَ بِلاَلٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ

(١) محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي - مفاتيح الغيب - جـ ١صـ٣٠٦٧- صـ٣٠٧٣دار إحياء التراث العربى

(٢) أحمد مصطفى المراغى- تفسير المراغي- جـ ١٦ صـ ١٢٢- مكتبة البابى الحلبي بمصر- بدون .

(٣) محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري- المستدرك على الصحيحين- تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا-كتاب الهجرة-حديث رقم٤٢٧٠ جـ٣صـ٨ ، والحديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه دار الكتب العلمية – بيروت طـ١ ، ١٤١١ - ١٩٩٠

وَحَوْلِى إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِى شَامَةٌ وَطَفِيلُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِى صَاعِهَا وَمُدِّهَا ، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ)[1] .

قال ابن عبد البر: إذخر وجليل نبتان من الكلأ طيب الرائحة يكونان بمكة وأوديتها لا يكادان يوجدان في غيرها وقيل: (الجليل) نبت ضعيف صفراء يحشى بها خصاص البيوت وغيرها، و(مجنة) بفتح الميم وكسر الجيم وتشديد النون موضع بأعلى مكة على أميال كان يقام للعرب بها سوق وبعضهم يكسر ميمها والفتح أكثر، وهي زائدة، و(شامة وطفيل) جبلان على نحو ثلاثين ميلاً من مكة في وجهة اليمن ، وقيل جبلان مشرفان على مجنة على بريدين من مكة ، وقيل عينان عندها، قال الزرقاني : وجمع باحتمال أن العينين بقرب الجبلين أو فيهما، وحاصل ما قال بلال: أنه كان يذكر مكة وصحة هوائها وعذوبة مائها ولطافة جبالها ونباتها ونفحة رياح نباتها الذي بمنزلة بناتها وأبنائها)[2].

وفى الحديث الشريف استحباب أن يدعو المسلم لوطنه، بالسّلم، والأمن، وزيادة الخير والبركة كما كان يدعو النبي (ﷺ) لوطنه المدينة المنورة؛ والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٣- أكّد التاريخ أن حبّ الوطن فطرى فى النفوس؛ فلقد ذكر ابن الجوزى- رحمه الله-: (أن الإسكندر أوصى إذا مات أن يحمل إلى بلده حبا لوطنه، واعتلّ اسفنديار في بعض غزواته فقيل له ما تشتهى؟ قال: شمة من تربة بلخ، وشربة من ماء واديها، واعتلّ سابور ذو الأكتاف بالروم وكان مأسورا وكانت بنت ملكهم قد عشقته فقالت له ما تشتهى؟ فقال: شربة من

(١) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- الجامع الصحيح المختصر- تحقيق : د. مصطفى ديب البغا - كتاب فضائل الصحابة - باب مقدم النبي (ﷺ) وأصحابه المدينة حديث رقم ٣٧١١ جـ ٣صـ ١٤٢٨- دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ط٣، ١٤٠٧ ه- ١٩٨٧م

(٢) أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أمان الله بن حسام الدين المباركفوري - مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح- جـ٩صـ٥٢٢-٥٣٢-إدارة البحوث والدعوة والإفتاء - بنارس الهند ط٣، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م

ماء دجلة، وشميما من تراب اصطخر، فغبّرت عنه أياما ثم أتت بماء من الفرات، وقبضة من شاطئه؛ وقالت: هذا من دجلة، وهذه من تربة أرضك، فشرب بالوهم، واشتم تلك التربة فنقه من علّته)[١] .

٤- ركّزت الأحكام الشرعية على الحب الفطرى للوطن لدى المكلف فحكمت بالتغريب سنة على الزانى غير المحصن كعقوبة من تمام الحدّ؛ ليستشعر الغربة النفسية، وينزجر عما يفعل؛ ولو لم يكن لغربته عن وطنه أثر نفسي ما حكم الشرع بها (عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ « خُذُوا عَنِّى خُذُوا عَنِّى قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْىُ سَنَةٍ وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ)[٢] .

(وقوله نفي سنة فيه دليل على وجوب التغريب للزاني البكر عاما وأنه من تمام الحد وإليه ذهب الخلفاء الأربعة ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق وغيرهم... وأما مسافة التغريب فقالوا أقلها مسافة القصر لتحصل الغربة، وغرّب عمر من المدينة إلى الشام، وغرّب عثمان إلى مصر، ومن كان غريبا لا وطن له غرب إلى غير البلد التي واقع فيها المعصية)[٣]

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي- كشف المشكل من حديث الصحيحين- تحقيق: علي حسين البواب- جـ١صـ١٢٣٣ - دار الوطن الرياض ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

(٣) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري- صحيح مسلم تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي- كتاب الحدود باب حَدِّ الزِّنَا- ٤٥٠٩جـ٥ صـ : دار الجيل والآفاق بيروت بدون

(١) محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى : ١١٨٢هـ)- سبل السلام- باب حد الزانى - جـ٤صـ٥- مكتبة مصطفى البابي الحلبي- طـ٤، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م

المطلب الثانى

ارتباط رؤى التقدم الاستراتيجية بالأمن والاستقرار فى الوطن

١- الوطن الآمن سبيل لتحقيق التقدم: لا يخفى على ذى لبّ أن رسم الخطط الاستراتيجية وتنفيذها لتحقيق التقدم فى شتى المجالات يرتبط بتحقيق الأمن فى الوطن، وحمايته من جميع الأخطار؛ فالوطن الآمن نعمة عظيمة لا يعرفها إلا المشردون، واللاجئون، والنازحون؛ لذا نجد القرآن الكريم يبين أنّ من أعظم النعم التى يمتن الله بها على عباده نعمة الأمن، قال تعالى:(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)(١) .

والرسول الكريم (ﷺ) يبين أن نعمة الوطن الآمن الذى ينعم فيه الإنسان بالأمن فى حركاته، وسكناته، وأكله، وشربه، ونومه...، نعمة تستحق تجديد الشكر عليها كل يوم لأثرها العظيم، وفضلها العميم: (عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ(ﷺ) كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ)(٢) وشرّاح السنة بيّنوا أن من معاني قوله(ﷺ): (فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى) أى: لا وطن له ولا سكن يأوى إليه)(٣).

٢- النهى عن كل ما يزعزع الأمن والاستقرار

نهى الإسلام الحنيف عن كل ما يزعزع الأمن والاستقرار فى المجتمع، ومن أخطر ما يزعزع الأمن الاستقرار:

أ- الخروج على الحاكم وقتل رجالات الجيش، والشرطة؛ والذى يؤدى إلى إحداث البلبلة فى المجتمع، وانعدام الأمن، وأفول شمس التقدم والتنمية.

وعند استعراض الأحاديث الواردة عن رسول الله (ﷺ) فى شأن الحكام نجدها لا تبيح الخروج عليهم ما أقاموا فى المحكومين الصلاة، (عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ « خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ

(١) سورة الأنعام: الآية (٨٢)

(٢) صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار - باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع-حديث رقم ٦٤جـ٤ صـ٢٠٨٥ – م.س

(٣) المرجع السابق جـ٤ صـ٢٠٨٥

عَلَيْهِمْ[1] وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ فَقَالَ « لاَ مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلاَتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ وَلاَ تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ)[2] ومثله الحديث الذى رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ): تكون أمراء تلين لهم الجلود وتطمئن إليهم القلوب ويكون عليكم أمراء تشمئز منهم القلوب وتقشعر منهم الجلود قالوا أفلا نقتلهم قال لا ما أقاموا الصلاة)[3].

و(عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ (ﷺ) عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ « إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ وَلَكِنْ مَنْ رَضِىَ وَتَابَعَ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ نُقَاتِلُهُمْ قَالَ « لاَ مَا صَلَّوْا ». أَىْ مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَأَنْكَرَ بِقَلْبِهِ) [4] والحديث يبيّن أنّ من كره بقلبه، ولم يستطع إنكارا بيد ولا لسان، فقد برىء من الإثم وأدى وظيفته، ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية، ومن رضى بفعلهم وتابعهم فهو العاصى .

فبهذه الأحاديث الصحيحة وغيرها نهتدى إلى أن الإسلام لا يبيح الخروج على الحاكم المسلم وقتله مادام مقيما على الإسلام يعمل به، حتى ولو بإقامة الصلاة فقط، وأن على المسلمين إذا خالف الحاكم الإسلام أن يتولوه بالنصح والدعوة السليمة المستقيمة كما فى الحديث الصحيح(عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِىَّ (ﷺ) قَالَ « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا لِمَنْ قَالَ « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)[5] والسبيل المستقيم مع أصول الإسلام أن نطالب جميعا بتطبيق أحكام الله دون نقصان بالأسوة الحسنة، والحجة الواضحة، لا بالقتل، وتكفير المسلمين، وإهدار حرماتهم.

---

(١) تصلون عليهم: أى تدعون لهم، لأن الصلاة فى اللغة الدعاء، ويصلون عليكم: أى يدعون لكم .

(٢) صحيح مسلم - حديث رقم ٤٩١٠

(٣) المسند- مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه- حديث رقم ١١٢٤٩ جـ٣ صـ٢٨ تعليق شعيب الأرناؤوط : صحيح لغيره، مرجع سابق.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإمارة - باب وُجُوبِ الإِنْكَارِ عَلَى الأُمَرَاءِ فِيمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ وَتَرْكِ قِتَالِهِمْ مَا صَلَّوْا وَنَحْوِ ذَلِكَ حديث٤٩٠٧ رقم جـ٦ صـ٢٣، م.س

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ حديث رقم ٢٠٥٥ جـ١ صـ٥٣، م.س .

ب- التكفير واستحلال الدماء، والأعراض، والأموال:

إن أكبر خطورة تتعرض لها المجتمعات المسلمة هى تكفير البعض لها، وسفكهم دماءهم، واستحلّالهم محارمهم، دون أن يتريثوا فى فهم معنى الكفر والشرك وأنواعهما، وما يترتب عليهما؛ وأول ما يكفّرون الحكام لتركهم بعض الأحكام والحدود دون تطبيق، استنادا لما فهموه من قوله تعالى:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (١) .

وقوله:﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (٢)، وقوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٣).

فهل هذا الفهم صحيحا؟ وما مدى تأثيره على استراتيجية التقدم؟

فى هذه الآيات المباركات ذكر العلماء عدة توجيهات؛ منها:

١- عند الرجوع إلى قواعد اللغة ودلالات الحروف والأسماء نجد أن " كلمة (من) الواردة فى تلك الآيات من أسماء الموصول، وهذه الأسماء لم توضع - فى اللغة - للعموم، بل هى للجنس، تحتمل العموم، وتحتمل الخصوص، قال أهل العلم باللغة والتفسير وعلى هذا يكون المراد ، والمعنى (والله أعلم) أما من لم يحكم بشىء مما أنزل الله أصلا فأولئك، أى من ترك أحكام الله نهائيا وهجر شرعه كله، هم الكافرون وهم الظالمون، وهم الفاسقون، وذلك بدليل ما سبق من الأحاديث الدالة على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج بها عن إيمانه وإسلامه وإنما يكون آثما فقط.

٢- المراد فى هذه الآيات بقول الله (بما أنزل الله) هو التوارة، بقرينة ما قبله وهو قوله: (إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ)(٤).

وإذا أخذنا هذا المعنى كانت الآيات موجهة لليهود الذين كان كتابهم التوارة، فإذا لم يحكموا بها كانوا كافرين أو ظالمين أو فاسقين، والمسلمون غير متعبدين بما اختص به غيرهم من الأمم السابقة، فقد كانت - مثلا - توبة أحدهم من ذنب ارتكبه

(١) سورة المائدة: الآية ٤٤
(٢) سورة المائدة: الآية ٤٥
(٣) سورة المائدة: الآية ٤٧
(٤) سورة المائدة: الآية ٤٤

قتل نفسه: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[1] ، وحرم هذا فى الإسلام:﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾[2] ، وشرع بديلا لقتل النفس التوبة بالاستغفار وبالصدقات .

٣- حمل جمهور العلماء قوله تعالى: وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)[3] على من جحد ما أنزل الله، أما من أقرّ به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق (قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرّ به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق)[4] .

وبهذا البيان يكون مجرد ترك بعض أوامر الله أو مجرد فعل ما حرم الله مع التصديق بصحة هذه الأوامر وضرورة العمل بها، يكون هذا إثما وفسقا، ولا يكون كفرا، ما دام مجرد ترك أو فعل دون جحود أو استباحة؛ ويكون بذلك تكفير الحاكم لتركه بعض أحكام الله وحدوده دون تطبيق لا يستند إلى نص فى القرآن أو فى السنة، وإنما نصوصهما تسبغ عليه إثم هذه المخالفة، ولا تخرجه بها من الإسلام؛ ولعل فى هذا الرد القاطع على دعوى تكفير المسلم الذى لم يجحد شيئا من أصول الإسلام وشريعته؛ وهذا لا يعنى إهمال جانب النصيحة والتذكرة للحكام بإقامة ما تبقى من أحكام الدين وحدوده؛ عملا بقوله(ﷺ): (الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)[5] .

فلينتبه الجميع إلى ذلك حتى لا تعمّ الفوضى، وتمتنع دواعى التقدم والازدهار.

ثم ينطلق هؤلاء إلى تكفير المسلمين واعتبار بلادهم كافرة؛ فيزعمون " أن أحكام الكفر تعلوا بلادنا، وإن كان أكثر أهلها مسلمين)[6] .

---

(١) سورة البقرة: الآية ٥٤

(٢) سورة النساء: آية ٢٩

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٤

(٤) تفسير ابن كثير جـ٢ صـ ٧٧- دار الفكر: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ حديث رقم٢٠٥جـ١ صـ٥٣ م. س

(٦) المفتى: جاد الحق على جاد الحق - كتيب الفريضة الغائبة والرد عليه- صـ١١ فتاوى دار الإفتاء المصرية- ربيع الأول ١٤٠٢ هجرية - يناير ١٩٨٢ م- موقع وزارة الأوقاف المصرية

وهذا قول مناقض للواقع، فهذه الصلاة تؤدى، وهذه المساجد مفتوحة وتبنى، وهذه الزكاة يؤديها المسلمون، ويحجون بيت الله، وحكم الإسلام ماض إلا فى بعض الأمور كالحدود، والتعامل بالربا، وغير هذا مما شملته القوانين الوضعية؛ وهذا لا يخرج الأمة والدولة عن أنها دولة مسلمة وشعب مسلم، لأننا - حاكما ومحكومين نؤمن بتحريم الربا، والزنا، والسرقة، وغير هذا، ونعتقد صادقين أن حكم الله خير وهو الأحق بالاتباع، فلم نعتقد حل الربا وإن تعاملنا به؛ ولم نعتقد حلّ الزنا، والسرقة، وغير هذا من الكبائر وإن وقع كل ذلك بيننا"[(١)] وهناك فرق بين اعتقاد حلّ الشيء وهو محرم، وفعله دون اعتقاد حلّه.

ج- الفهم الخاطئ لمفهوم دار الكفر ودار الإسلام: مفهوم دار الكفر ودار الإسلام أمر اجتهادي قال فيه المحققون من العلماء: إن مدار الحكم على بلد بأنه بلد إسلام أو بلد كفر هو الأمن على الدين، وكفالة الحرية فى أداء شعائره، وعدم التضييق على المسلمين فيها؛ فلو عاش المسلم فى بلد ليس له دين أو دينه غير دين الإسلام واستطاع أن يمارس شعائر دينه فى حرية فهو فى دار إسلام بمعنى أنه لا يجب عليه الهجرة منها كما كانت الهجرة واجبة على المسلمين من مكة قبل فتحها؛ نظرا لتعرض القلة المسلمة فيها للفتنة حيث كانوا لا يأمنون على دينهم فأمرهم الرسول(ﷺ) بالهجرة إلى الحبشة وهو بلد لا يدين بالإسلام لكن المسلمين فيه أمنوا على دينهم.

ذكر الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله- رأيين للفقهاء فى دار الإسلام ودار الحرب ثم اختار رأى الإمام أبى حنيفة – رضى الله عنه- أن مدار الحكم هو أمن المسلم؛ فإن كان آمنا بوصف كونه مسلما فالدار دار إسلام وإلا فهى دار حرب.. وقال: (إنه الأقرب إلى معنى الإسلام، ويوافق الأصل فى فكرة الحروب الإسلامية وإنها لدفع الاعتداء)[(٢)]

فكيف تكون بلاد المسلمين التى يرفع فيها الأذان، وتقام فيها الصلوات، وتمارس فيها شعائر الدين فى أمن واطمئنان وغالب أهلها على هذا الحال... كيف

(١) فضيلة المفتى: جاد الحق على جاد الحق - فتاوى دار الإفتاء المصرية- الردّ على كتيب الفريضة الغائبة - صـ١١ ربيع الأول ١٤٠٢ هجرية - يناير ١٩٨٢ م- موقع وزارة الأوقاف المصرية.

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة – نظرية الحرب فى الإسلام – صـ٢٨

تكون هذه الدار دار كفر يدعى إلى الهجرة منها، وإلى حرب أهلها والقائمين على الأمن فيها بزعم أنها دار كفر؟![1] إن الفهم القويم لهذا المصطلح يمنع هجرة العقول، ويمنع من خراب الديار، وهلاك الضرع، والنسل، ويمنع من الاقتتال، ويدفع إلى حماية الوطن، والعمل على تقدمه، وتحقيق رؤى التقدم.

(١) وزارة الأوقاف المصرية- العهود والمواثيق فى الإسلام- صـ١٠٢- مطابع وزارة الأوقاف- ١٩٩٥م

المطلب الثالث

إزالة معوقات حماية الوطن لتحقيق استراتيجية التقدم

من أهم معوقات البعد الاستراتيجى للتقدم والازدهار إشاعة الفوضى بالقتل، والتفجير، وبثّ الذعر والفوضى بين أبناء المجتمع الواحد اعتمادا على الفهم الخاطئ لبعض ما ورد فى القرآن الكريم وسنة النبى (ﷺ) وهذا يتطلب قيام العلماء بدورهم فى بيان الأفهام السقيمة التى تنشر الجهل، والضلال، وتمنع من تحقيق استراتيجية التقدم؛ ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك والتى أوقعت الفساد، والقتل، والذعر فى المجتمعات باسم الدين؛ والإسلام منه برآء:

١- الفهم الخاطئ لقوله (ﷺ): (بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ ، وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)[١] فهذا الحديث الذى يتخذه البعض تكأة للقتل، والتخريب، وإشاعة الفوضى حكم عليه علماء الحديث بأنّ (إسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه فابن ثوبان وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان اختلفت فيه أقوالُ المجرحين والمعدلين، فمنهم من قوّى أمره، ومنهم من ضعفه، وقد تغير بآخرة، وخلاصة القول فيه أنه حسنُ الحديث إذا لم يتفرد بما ينكر، فقد أشار الإمام أحمد إلى أن له أحاديث منكرة، وهذا منها)[٢].

وهذا الحديث مع ضعفه وجّهه العلماء الثقات توجيها يتفق مع دلالته، يقول فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السابق جاد الحق على جاد الحق- رحمه الله: (هذا الحديث ما مدلوله؟ وهل تؤخذ ألفاظه هكذا وحدها دون النظر إلى الأحاديث الأخرى وإلى سير الدعوة منذ بدأت؟

إن ما قال به أصحاب ذلك الفكر هو ما قال به المستشرقون، حيث عابوا على الإسلام فقالوا إنه انتشر بالسيف؛ ألا ساء ما قال هؤلاء وأولئك، فإن القرآن قد فصّل

---

(١) أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن أسد الشيباني- مسند الإمام أحمد بن حنبل: تحقيق : شعيب الأرناؤوط، وآخرون - مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حديث رقم٥١١٤جـ٩صـ١٢٤- مؤسسة الرسالة، طـ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

(٢) تحقيق : شعيب الأرناؤوط و عادل مرشد ، وآخرون لهذا الحديث فى المسند- مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حديث رقم٥١١٤جـ٩صـ١٢٤- مرجع سابق.

فى هذه القضية وما كان رسول الله(ﷺ) إلا مبلغا ومنفذا للوحى، ولا يصدر منه ما يناقض القرآن الذى يقول: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)[1]، ويقول: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[2]، ويقول:﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[3]، ويقول: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[4]، ويقول: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[5] ذلك القرآن أصل الإسلام، والسنة مفسرة له لا تختلف معه، وحديث بعثت بالسيف مع هذه الآيات لا يؤخذ على ظاهره، فقد جاء بيانا لوسيلة حماية الدعوة عند التعدى عليها، أو التصدى للمسلمين، وإلاّ فهل استعمل الرسول (ﷺ) السيف لإكراه أحد على الإسلام؟ اللهم لا؛ وما كان له أن يخالف القرآن الذى نزل على قلبه .

وقوله الشريف: (وجعل رزقى فى ظل رمحى) إشارة إلى آية الغنائم ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[6] وقسمتها ، وأنّ له رزقا فى بيت مال المسلمين، حتى لا ينشغل عن الدعوة بكسب الرزق؛ وكان هذا مبدأ فى الإسلام، فأصبح لولى أمر المسلمين مرتبا فى بيت مال المسلمين حتى يتفرغ لشئونهم، وهذا هو ما فهمه أصحاب رسول الله (ﷺ)، فإن أبا بكر رضى الله تعالى عنه بعد أنه اختاره المسلمون خليفة توجه إلى السوق كعادته للتجارة ، فقابله عمر رضى الله عنه وقال له ماذا تصنع فى السوق؟

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦
(٢) سورة النحل: الآية ١٢٥ .
(٣) سورة يونس: الآية ٩٩ .
(٤) سورة آل عمران: الآية ٢٠ .
(١) سورة القصص: الآية ٥٦ .
(٢) سورة الأنفال: الآية ٤١ .

قال أعمل لرزقى وزرق عيالى، فقال له قد كفيناك ذلك، أو قد كفاك الله ذلك؛ مشيرا إلى هذه الآية، فإن فيها قول الله (فأنّ لله خمسه) فمرتب الخليفة من هذا الخمس)[1] .

فأصحاب ذلك الفكر يضعون الحديث فى غير موضعه، ويوردن النصّ فى غير ما جاء فيه ولا يحتمله؛ وهذا ما يجعل الحديث مناقضا للقرآن؛ وهذا ما لا يقول به مسلم.

٢- الفهم الخاطئ لحديث: (لقد جئتكم بالذبح)[2] والذى يحدث الرعب والذعر فى المجتمع، ويمنع الاستثمار فى البلاد الإسلامية، وينفّر الناس من الدين؛ فهذا الحديث الشريف تتوقف معرفته على معرفة سبب وروده، وعلى المعنى المراد من كلمة " الذبح" فيه؛ والرجوع في ذلك إلى العلماء الثقات؛ فسبب ورود الحديث هو ما رواه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَكْثَرُ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟ قَالَ: قَدْ حَضَرْتُهُمْ وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ فِي الْحِجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَوْ كَمَا قَالُوا، فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ، إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ)، فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، فَمَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ الْقَوْلِ، قَالَ: وَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى(ﷺ)، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ مَضَى(ﷺ)، فَمَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ، غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ» قَالَ: فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا لَكَأَنَّمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ، حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ

(١) ينظر: ردّ فضيلة المفتي: جاد الحق على جاد الحق على كتيب الفريضة الغائبة صـ١١ - م. س .

(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - كِتَابُ التَّارِيخِ- بَابُ كُتُبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذِكْرُ بَعْضِ أَذَى الْمُشْرِكِينَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِنْدَ دَعْوَتِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ- حديث رقم٦٥٦٧ جـ١٤صـ٥٢٦-٥٢٧- مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤ه - ١٩٩٣ م، والحديث حسن.

وَطْأَةً قَبْلَ ذَلِكَ يَتَوَقَّاهُ بِأَحْسَنِ مَا يُجِيبُ مِنَ الْقَوْلِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: انْصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، انْصَرِفْ رَاشِدًا، فَوَ اللَّهِ مَا كُنْتَ جَهُولًا، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ(ﷺ)[1] .

ثم استطردت الرواية إلى ما كان بين الرسول (ﷺ) وهؤلاء الذين غمزوه بالقول ثلاث مرات وهو يطوف حول البيت فى ذات اليوم واليوم التالى .

فما معنى هذه العبارة الأخيرة فى قول الرسول(ﷺ) حسبما جاء فى هذه الرواية (لقد جئتكم بالذبح)؟ نعود إلى اللغة نجدها تقول: (ذبحت الحيوان ذبحا قطعت العروق المعروفة فى موضع الذبح بالسكين، والذبح الهلاك، وهو مجاز، فإنه من أسرع أسبابه، وبه فسّر حديث ولاية القضاء (فكأنما ذبح بغير بسكين) ويطلق الذبح للتذكية، وفى الحديث (كل شيء فى البحر مذبوح) أى ذكى لا يحتاج إلى الذبح، ويستعار الذبح للإحلال ، أي لجعل الشيء المحرم حلالا، وفى هذا حديث أبى الدرداء رضى الله عنه (ذبح الخمر، الملح والشمس) أي أن وضع الملح فى الخمر مع وضعها فى الشمس يذبحها أى يحولها خلا فتصبح حلالا)[2] .

فأي معنى لغوى للفظ الذبح فى هذه القصة يعتد به؟ " لا يجوز أن يكون المراد المعنى الأصلى للذبح، وهو قطع العنق من الموضع المعروف، لأن الله أبلغ الرسول فى القرآن: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[3]، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[4]، ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[5] ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[6] .

---

(١) صحيح ابن حبان - كِتَابُ التَّارِيخِ- بَابُ كُتُبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذِكْرُ بَعْضِ أَذَى الْمُشْرِكِينَ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ)، عِنْدَ دَعْوَتِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ- حديث رقم٦٥٦٧ جـ١٤صـ٥٢٦- ٥٢٧-م.ق

(٢) محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدى- تاج العروس من جواهر القاموس: - مادة ذبح جـ٦ صـ٣٦٧ دار الهداية بدون.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٦

(٤) سورة القصص: الآية ٥٦

(٥) سورة المائدة: الآية ٩٢

(٦) سورة التغابن: الآية١٢

والنبى (ﷺ) لم يفعل ذلك، يعنى لم يذبح أحدا لا فى مكة ولا فى غيرها، ولم يكره أحدا على اتّباعه، فيستبعد المعنى الأصلى لمعارضته للقرآن؛ وإذا يكون المعنى المجازى هو المراد بهذا التهديد فإنهم قد غمزوه، وعابوه، وشتموه، وهو يطوف بالبيت فهددهم بالهلاك؛ بأن يدعو الله عليهم كما فعل السابقون من الأنبياء، أو بالتطهير مما هم فيه من الشرك؛ يعنى أنه جاءهم بالدين الصحيح الذى يتطهرون باتّباعه، وهذا المعنى الأخير هو المتفق مع ما أثر عنه (ﷺ) أنه كان يدعو لقومه بالهداية إلى الإسلام .

وتفسير الذبح فى هذا التهديد بالمعنى المتبادر لهذا اللفظ يتعارض مع ما عرف عن رسول الله(ﷺ) من خلق وحكمة ورحمة بالناس، وقد أكد القرآن كل هذه الصفات لرسول الله (ﷺ)، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [(١)] ، وقال سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾[(٢)]، وقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [(٣)] .

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩
(٣) سورة القلم: الآية ٤

المبحث الثانى

مرتكزات حماية الوطن لتحقيق استراتيجية التقدم

ويتكون من المطالب التالية:

المطلب الأول

المحافظة على النسيج الداخلى للمجتمع

المطلب الثانى

الاستفادة من ماضى الأمة للانطلاق نحو المستقبل المزهر

المطلب الثالث

العمل على قوتـه وتقدمه

المطلب الأول

المحافظة على النسيج الداخلي للمجتمع

إن تحقيق الرؤى المستقبلية والأبعاد استراتيجية لأى تقدم يتوقف على مدى انسجام النسيج الداخلي للمجتمع؛ فإن كان مترابطا منسجما مع التعدد والتنوع تحققت عوامل النجاح والازدهار، وتحققت الخطط المستقبلية للتقدم والنماء؛ وإن كان التناحر، والتقاتل، وفقد الأمن، وانتهاك بيضة الأوطان عدمت التنمية، وفقد الازدهار، وتحوّل الوطن إلى أطلال وخراب؛ لذا جاء الإسلام بالمحافظة على النسيج الداخلي للمجتمع من التآكل والانهيار، فقرّر أنّ:

١- علاقة أفراد المجتمع تقوم على التعارف، والتعاون، والبر، والعدل، قال تعالى:
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(١) .

وأكدّ النبى (ﷺ) على هذه الحقيقة وسط جموع المسلمين فقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ثُمَّ قَالَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا يَوْمٌ حَرَامٌ ثُمَّ قَالَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ قَالَ ثُمَّ قَالَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ وَلَا أَدْرِي قَالَ أَوْ أَعْرَاضَكُمْ أَمْ لَا كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَلَّغْتُ قَالُوا بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ)(٢) .

٢- أقام العلاقة بين المسلمين وغيرهم على المسالمة، والمعاشرة الجميلة، والمعاملة بالحسنى، وتبادل المصالح، والتعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ

(١) سورة الحجرات آية: (١٣)
(٢) المسند – الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه جـ٣٨ صـ٤٧٤ حديث رقم ٢٣٤٨٩

وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ (١).

يقول الفقهاء: (الموالاة بمعنى المسالمة، والمعاشرة الجميلة، والمعاملة بالحسنى، وتبادل المصالح، والتعاون على البر والتقوى، مما دعا إليه الاسلام ، ولا يدخل فى نطاق النهى عن موالاة الكافرين، أما النهى عن موالاة الكافرين فيقصد به النهى عن محالفتهم ومناصرتهم ضد المسلمين، كما يقصد به النهى عن الرضى بما هم فيه من كفر، إذ أن مناصرة الكافرين على المسلمين فيه ضرر بالغ بالكيان الإسلامى، وإضعاف لقوة الجماعة المؤمنة) (٢).

والسنة النبوية مليئة بصور البرّ مع أهل الكتاب، منها على سبيل المثال:

- ما رواه البخارى فى صحيحه: (كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا) (٣).

- ما رواه البخارى فى صحيحه: (عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ (ﷺ)، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ (ﷺ) يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ (ﷺ)، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) (٤).

---

(١) سورة الممتحنة: الآيتان (٨)، (٩)

(٢) فقه السنة جـ٢ صـ٦٠٣، ٦٠٤

(٣) صحيح البخاري كتاب الجَنَائِزِ بَابُ مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ حديث رقم ١٣١٢ جـ٢ صـ٨٥

(٤) صحيح البخاري كتاب الجَنَائِزِ بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ حديث رقم ١٣٥٦ جـ٢ صـ٩٤

- أباح الإسلام زيارتهم، وعيادة مرضاهم، وتقديم الهدايا لهم، ومبادلتهم البيع والشراء ونحو ذلك من المعاملات، فمن الثابت أن الرسول ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودى في دين له عليه، وكان بعض الصحابة إذا ذبح شاة يقول لخادمه ابدأ بجارنا اليهودى.

عدم التعرض لمعبودهم بسوء: فلقد أوجب الإسلام على المسلم ألاَ يسبَ معبودات الآخرين؛ لأن ذلك يدفع الآخرين إلى سبِ الله والعياذ بالله، كما يدفع المخالفين إلى العناد والتعصب؛ لأن أى مدعو يحب معتقده ويتمسك به وإن كان باطلا، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(١) .

يقول الإمام القرطبى- رحمه الله:(نهى سبحانه المؤمنين أن يسبوا أوثان الذين يدعون من دون الله ؛ لأنه علم إذا سبُوها نفر الكفار وازدادوا كفرا. قال ابن عباس : قالت كفار قريش لأبى طالب إما أن تنهى محمدا وأصحابه عن سب آلهتنا والغضِ منها؛ وإما أن نسبَ إلهه ونهجوه ؛ فنزلت الآية... قال العلماء : الآية حكمها باق فى هذه الأمة على كل حال؛ فمتى كان الكافر في منعة وخيف أن يسبَ الإسلام أو النبى عليه السلام أو الله عز وجل، فلا يحل لمسلم أن يسبَ صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم ، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك ؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية ...)(٢) .

وأقّر الإسلام جملة من الحقوق لليهود والنصارى؛ أهمها:

١ - حماية الدولة لهم، بدفع الظلم عنهم، روى أبو داود عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ « أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

(١) سورة الأنعام الآية : ١٠٨

(٢) تفسير القرطبى جـ٧ صـ٦٠

(٣) سنن أبى داود- كتاب الخراج - باب فى تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات " حديث رقم ٣٠٥٤ جـ٣ صـ١٣٦ والحديث صحيح

٢ - حق الإقامة والتنقل فى دار الإسلام أينما يشاءون للتجارة وغيرها، لكن الفقهاء اتفقوا على عدم جواز إقامة الذمي واستيطانه فى مكة والمدينة.

٣ - عدم التعرض لهم فى عقيدتهم وعبادتهم، ويكون دخول الذمي الإسلام عن طريق الدعوة لا عن طريق الإكراه.

٤- النهى عن سبّ معبوداتهم حتى لا يسبّوا الله عدواً بغير علم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[١] .

٥ - يتمتع الذمي باختيار العمل الذى يراه مناسبا للتكسب فيشتغل بالتجارة والصناعة كما يشاء، أما الوظائف العامة فيما يشترط فيه الإسلام كالخلافة والإمارة على الجهاد فلا يجوز أن يعهد بذلك إلى ذمى .

واشترط الإسلام عليهم عدة شروط احتراما لعقائد المسلمين، وضمانة لتحقيق التعايش السلمى بين الطرفين؛ ومن أهم هذه الشروط ما ذكره الإمام الماوردى- رحمه الله- حيث قال: يشترط عليهم ستة أشياء[٢]:

١ - ألا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن ولا تحريف له.
٢ - وألا يذكروا رسول الله (ﷺ) بتكذيب له ولا ازدراء.
٣ - وألا يذكروا دين الإسلام بذم له ولا قدح فيه.
٤ - وألا يصيبوا مسلمة بزنا .
٥ - وألا يفتنوا مسلما عن دينه ولا يتعرضوا لماله.
٦ - وألا يعينوا أهل الحرب ولا يؤوا للحربيين عينا (جاسوسا).

وهذه الحقوق والواجبات لأهل الكتاب ومن فى حكمهم تكون بالعقد أو القرائن أو التبعية، ويقوم بتطبيقها وحمايتها الإمام، أو ممن ينوب عنه، وهذا العقد يشترط أن يكون مؤبدا، وفى قول عند الشافعية: يصح مؤقتا)[٣] .

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٨
(٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٨٤ وما بعدها.
(٣) موسوعة المفاهيم: صـ٢٩٧ بتصرف. مرجع سابق

وهذه الشروط التى ذكرها العلماء تضمن أن يتمتع كل فرد بالحرية المسؤولة، والحق المشروع، وأن يتعايش الجميع فى جو من الاحترام المتبادل، والعمل البنّاء.

المطلب الثانى

الاستفادة من ماضي الأمة للانطلاق نحو المستقبل المزهر

التاريخ وعاء الزمن، والأمة التى لم تستفد بخبرات الماضي لم تفز بثمرات المستقبل، لذا دعا الله المؤمنين إلى السير فى الأرض والنظر فى أحوال السابقين للاتعاظ والاعتبار، قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ (١).

فهذه الآية الكريمة ونظائرها تحث المرء على استعمال البصر، والقلب، والعقل فى النظر آثار السابقين، للاستفادة من أحوالهم السابقين؛ يقول الإمام القرطبى- رحمه الله (٢)عند قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا)(٣) قال : ببصائرهم وقلوبهم)(٤)؛ لذا نعى الله على كفار قريش قعودهم فى ديارهم ، وعدم سيرهم فى الأرض سير المتأملين المعتبرين ، واستنطاق آثار السالفين كعاد ، وثمود لإدراك صحة ما يدعوهم إليه النبى (ﷺ)؛ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

---

(١) سورة الحج آية (٤٦)

(٢) الإمام القرطبي : هو (محمد بن أبي فرح الأنصاري الخزرجى المالكي أبو عبد الله القرطبي، مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، سمع من ابن رواج، ومن الجميزي، وعدة، وروى عنه بالإجازة ولده شهاب الدين أحمد ، قال الذهبي : إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة إطلاعه ووفور فضله، مات بمنية بنى خصيب من الصعيد الأدنى سنة إحدى وسبعين وستمائة: طبقات المفسرين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي- تحقيق: على محمد عمر جـ١صـ٧٩ مكتبة وهبة –القاهرة طـ١سنة ١٣٩٦ه

(٣) سورة الروم جزء من الآية : ٩

(٤) تفسير القرطبي جـ١٤صـ٩ مرجع سابق.

﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ (١).

ودعا النبى (ﷺ) إلى الاتعاظ بأحوال السابقين للانطلاق نحو المستقبل بخطا ثابتة؛ وأكبر مثال على ذلك قصة مروره بديار قوم سيدنا صالح عليه السلام وتوجيهه الصحابة إلى الاستفادة من أحواله مع قومه، عَنْ جَابِرٍ: قَالَ لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحِجْرِ قَالَ لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ وَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَعَقَرُوهَا فَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا فَعَقَرُوهَا فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْمَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قِيلَ مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هُوَ أَبُو رِغَالٍ فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ) (٢).

فالنبى الكريم (ﷺ) فى هذا الحديث أشار إلى موضع ورود الناقة، وصدورها كدلالة عملية لقصة سيدنا صالح عليه السلام ولم يأمر بتغيير معالمها، أوتسويتها ؛ بل أمر بالتصديق، والبعد عن سؤال الآيات للتكذيب، و(عن نافع أن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أخبره : أن الناس نزلوا مع رسول الله (ﷺ) أرض ثمود الحجر فاستقوا من بئرها واعتجنوا به فأمرهم رسول الله (ﷺ) أن يهريقوا ما استقوا من بئرها وأن يعلفوا الإبل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة)(٣) .

والنبى الكريم (ﷺ) فى هذا الحديث لم يأمر بتغوير هذه الأبئار أو ردمها أو تغيير معالمها ؛ بل أبقاها كما هى ؛ ثم شرع فى بيان حكم الشرب والعجن منها ؛ فنهى عن استعمال مياه بئار الحجر إلا بئر الناقة؛ ففعل النبى (ﷺ) دعوة للاتعاظ والاعتبار من أحوال السابقين حتى لانفعل مثلهم فتكون

(١) سورة الروم الآيتان(٩،١٠)

(٢) المسند – مسند جابر بن عبد الله-جـ٢٢صـ٦٦ – الرسالة - الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م- تحقيق الأرناؤوط وآخرون وقال المحققون: حديث قوي ، وهذا إسناد على شرط مسلم

(٣) صحيح البخاري – كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى(وإلى ثمود أخاهم صالحا) حديث رقم ٣١٩٩ جـ٣ صـ١٢٣٧

الانطلاقة للمستقبل عن بيّنة وبصيرة (عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله (ﷺ) قال (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم)[1].

يقول الإمام النووى - رحمه الله : (فَيَنْبَغِي لِلْمَارّ فِي مِثْل هَذِهِ الْمَوَاضِع الْمُرَاقَبَة، وَالْخَوْف ،وَالْبُكَاء ، وَالِاعْتِبَار بِهِمْ وَبِمَصَارِعِهِمْ ، وَأَنْ يَسْتَعِيذ بِاَللَّهِ مِنْ ذَلِكَ)[2] فالعبرة فى أمر النبى (ﷺ) الداخل والمارِ بهذه الأماكن باكيا هو الاتعاظ والاعتبار ؛ لأنه إن لم يتعظ ويعتبر كان قاسى القلب ، فيخشى عليه أن يصنع مثل صنيعهم فيصيبه الله بعذاب مثل ما أصابهم؛ فالانطلاق إذن نحو تحقيق رؤى المستقبل يحتاج إلى التعرف الماضى لتفادى سلبياته، والاستفادة من إيجابياته، فآثار الأوطان دليل واقعى مشاهد محسوس على الاستفادة من سلبيات الماضى لتفاديها فى المستقبل لتحقيق غد مشرق؛ لذا نجد العلماء اعتبروا السفر لرؤية آثار السابقين للاتعاظ والاعتبار محبوب ومطلوب شرعا؛ لكونه سفر عبرة ، يقول ابن العربى رحمه الله [3]: (لْمَسْأَلَةُ

---

(١) أخرجه البخاري – كتاب الصلاة – باب ٢١ - باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب – ج١ص١٦٧ حديث رقم ٤٢٣ - هؤلاء المعذبين بفتح الذال المعجمة يعني ديار هؤلاء وهم أصحاب الحجر قوم ثمود وهؤلاء قوم صالح عليه السلام .

(٢) شرح النووي - باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين - جـ١٨صـ١١١

(٣) ابْنُ العَرَبِيّ هو: (الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، القَاضِي، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّد بن عَبْدِ اللهِ، ابْنُ العَرَبِيّ الأَنْدَلُسِيّ، الإِشْبِيْلِيّ، المَالِكِيّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. وُلِد فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّيْنَ وَأَرْبَعِ مائَةٍ. وَتَفَقَّهَ: بِالإِمَام أَبِي حَامِد الغَزَّالِيّ، وَالفَقِيْه أَبِي بَكْرٍ الشَّاشِيّ، وَجَمَاعَة. وَكَانَ فَصِيْحاً، بَلِيْغاً، خَطِيْباً. صَنّف كِتَاب (عَارِضَةِ الأَحْوَذِيّ فِي شَرْحِ جَامِع أَبِي عِيْسَى التِّرْمِذِيّ)، ، وَلَهُ كِتَاب (الأَصْنَاف) فِي الفِقْه، وَكِتَاب (أُمَّهَات المَسَائِل) وغير ذلك الكثير، أَدخل الأَنْدَلُس إِسْنَاداً عَالِياً، وَعلماً جَمّاً، وَلِيَ قَضَاءَ إِشْبِيْلِيَة، فَحُمدت سِيَاسته، وَأَقْبَلَ عَلَى نشر العِلْم وَتَدوينه، وَصَنَّفَ فِي الحَدِيْثِ، وَالفِقْه، وَالأُصُوْل، وَعُلُوْم القُرْآن، وَالأَدب، وَالنَّحْو، وَالتَّوَارِيخ، وَاتَّسَع حَاله، وَمدحته الشُّعَرَاء، وَعَلَى بلده سور أَنشَأَه مِنْ مَاله. قَالَ أَبُو القَاسِمِ بنُ بَشْكُوَال: تُوُفِّيَ ابْنُ العَرَبِيّ بفَاس، فِي شَهْرِ رَبِيْعٍ الآخِرِ، سَنَةَ

الرَّابِعَةُ: فِي السَّفَرِ فِي الْأَرْضِ: تَتَعَدَّدُ أَقْسَامُهُ مِنْ جِهَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، فَتَنْقَسِمُ مِنْ جِهَةِ الْمَقْصُودِ بِهِ إِلَى هَرَبٍ أَوْ طَلَبٍ...وَأَمَّا قِسْمُ الطَّلَبِ فَيَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: طَلَبُ دِينٍ وَطَلَبُ دُنْيَا؛ فَأَمَّا طَلَبُ الدِّينِ فَيَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ أَنْوَاعِهِ، وَلَكِنَّ أُمَّهَاتِهِ الْحَاضِرَةَ عِنْدِي الْآنَ تِسْعَةٌ: الْأَوَّلُ: سَفَرُ الْعِبْرَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)[1] وَهَذَا كَثِيرٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَيُقَالُ: إِنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا طَافَ الْأَرْضَ لِيَرَى عَجَائِبَهَا وَقِيلَ: لِيُنْفِذَ الْحَقَّ فِيهَا...)[2].

ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَخَمْسِ مائَةٍ) سير أعلام النبلاء جـ٢٠ صـ ١٩٩-٢٠٥بتصرف يسير مرجع سابق.

(١) سورة يوسف: ١٠٩

(٢) القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - أحكام القرآن- جـ١صـ٦١٠-٦١٣- بتصرف يسير- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- طـ٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

المطلب الثالث

العمل على قوة الوطن وتقدّمه

ينبغى على المسلم أن يحافظ على وطنه بالنفس والنفيس، وأن يساهم فى تحقيق النماء، وأن يشارك فى تنفيذ الرؤى المستقبلية له؛ لأنه المكان الذى يأمن فيه على ماله، وعرضه، ودمه؛ والعمل على قوة الوطن وتقدمه يتمثل فى فعل كل شيء نافع، والبعد عن كل شيء ضارّ، وصور ذلك فى السنة النبوية كثيرة ؛ منها:

١- التعاون مع ولاة الأمر.
٢- البعد عن الحزبية .

١- العمل الجادّ المثمر الذى يفيد الوطن إلى آخر لحظة فى الحياة:

يدعو الإسلام أتباعه إلى العمل المثمر البنّاء الذى يحقق الخير والرخاء، ويدعم أواصر الوطن الذى ينعم أبناؤه فيه بالخير والأمان، وينهاهم عن الكسل، والخمول، والاتكالية، والبطالة المقنعة؛ حتى ينهض الاقتصاد، ويرتفع مستوى المعيشة، ويحجّم الفقر الذى ينتج الجرائم والشرور. ودعوة الإسلام أبناءه إلى العمل لا تتوقف حتى آخر لحظة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ﷺ):(إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل)[1] .

٢- استجلاب المستجدات التى تخدم الوطن ولا تتعارض مع الدين:

إن الرؤى المستقبلية لتحقيق التقدم للأوطان تعتمد على استجلاب كل نافع ومفيد؛ فالإسلام لا يرفض الاستفادة من علوم الآخرين وحضارتهم طالما لا تتعارض مع الدين، وخير مثال على ذلك ما تمّ فى غزوة الأحزاب

(١) أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني- مسند الإمام أحمد بن حنبل بتعليق شعيب الأرناؤوط - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه- حديث رقم ١٣٠٠٤- جـ٣ صـ ١٩١ مؤسسة قرطبة القاهرة، والحديث صحيح على شرط مسلم، وفسيلة: صغار النخل وهي التي تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس.

حيث استفاد المسلمون بفكرة (حفر الخندق) حول المدينة لحمايتها من المشركين، وكانت فكرة مستفادة من الفرس وأقرّها الرسول (ﷺ) ولم يمنعها لأن فيها حماية الوطن، ولا تتعارض مع الدين.

يقول الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار- رحمه الله: (يطلع سلمان الفارسي -رضي الله عنه- على الرسول (ﷺ) والمسلمين برأي سديد وفكرة صائبة تشرق لها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم، ذلك أنه أشار عليهم بحفر الخندق في الجهة التي يخشى منها خطر الزحف على المدينة، وكانت فكرة حفر الخندق فكرة عجيبة لم يعرفها العرب قبل ذلك، وإنما عرفها الفرس في حروبهم، وأخذها عنهم سلمان الفارسي -رضي الله عنه- وحينما

رأى الرسول الكريم (ﷺ) قوة هذا الرأي واقتنع بصوابه، أمر بوضعه موضع التنفيذ وقام يباشر بنفسه هذا العمل الكبير)[1].

٣- المساهمة فى كفّ الأذى عنه بجميع أنواعه:

حماية الوطن أساس تقدمه وازدهاره ؛ فبأمنه واسقراره تحفظ الدماء، والأعراض، والأموال، وتتحقق الخطط المستقبلية للتنمية والتطور، ولعلّ هذا وأكثر يستفاد من بشارة النبى (ﷺ) لمن يحمى دمه وماله وعرضه فى قوله: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)[2] .

(١) محمد الطيب النجار- القول المبين في سيرة سيد المرسلين – صـ٢٦٧- ٢٦٨دار الندوة الجديدة بيروت لبنان- بدون.

(٢) محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي- سنن الترمذي - تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرون- بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ حديث رقم ١٤٢١ جـ٤صـ٣٠ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر طـ٢،١٩٧٥م، والحَدِيثُ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعـد،،،

فبعد المعايشة لأجزاء البحث يمكن أن نخرج بأهم النتائج والتوصيات.

أولا: أهم النتائج:

١- أكدت دلالات القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وشواهد الأحداث والتاريخ أن حب الوطن الذى نشأ فيه الإنسان وترعرع أمر فطرى.

٢- حماية الأوطان أمر ضرورى لصيانة الدماء، والأموال، والأعراض، ولتحقيق الرؤى المستقبلية للتقدم والازدهار.

٣- حماية الأوطان تبدأ من المحافظة على النسيج الداخلى للمجتمعات، وإزالة الشبه الفكرية التى تقوض أمن المجتمعات، وتعمل إشاعة الفوضى، وزعزعة الأمن والاستقرار.

ثانيا: أهم التوصيات:

١- العمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة التى يروجها البعض؛ وتعمل على تكدير السلم المجتمعى، ونشر المفاهيم المصحّحة التى تعمل على المحافظة على النسيج الداخلى فى وسائل الإعلام المتعددة.

٢- قيام الجهات المعنية بدورها فى بيان أن وحدة الوطن و قوته تحتاج إلى مجهود ومثابرة من جميع أبنائه، وعدم الانصياع إلى الأفكار الهدامة.

٣- لا يجب أن يؤثر حب الوطن والمحافظة عليه على أخوة الدين بين جميع المسلمين، بل يجب أن تكون منطلقا للتعاون، والتراحم.

بيان أن نشر الصورة الصحيحة للإسلام تعين على انتشاره، ودخول الناس فى رحابه، بينما صورة هتك الأعراض، وسفك الدماء، وذبح الأحياء، وترويع الآمنين تجعل حجابا حاجزا يمنع الناس من الدخول فى دين الله أفواجا؛ لذا يجب على المسلمين جميعا الانتباه إلى هذا الأمر، ونشره بكل ما أوتوه من قوة حتى يحذر الناس ذلك؛ ويعلموا أن أخطاء

البعض فى سوء الفهم والتطبيق لا تعبّر عن الإسلام الصحيح. وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١- أبو زكريا يحيى بن شرف النووى: شرح النووى على صحيح مسلم- دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٩٢هـ.

٢- أبو الحسن عبيد الله بن أمان الله المباركفوري - مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح- إدارة البحوث والدعوة والإفتاء- بنارس الهند طـ٣، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م

٣- أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي- كشف المشكل من حديث الصحيحين- تحقيق: علي حسين البواب - دار الوطن الرياض ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

٤- أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني- مسند الإمام أحمد بن حنبل بتعليق شعيب الأرنؤوط - مسند أنس بن مالك رضي الله عنه- مؤسسة قرطبة القاهرة.

٥- أحمد مصطفى المراغى- تفسير المراغي- مكتبة البابى الحلبي بمصر- بدون.

٦- القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربى - أحكام القرآن-دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- طـ٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٧- جاد الحق على جاد الحق مفتى جمهورية مصر العربية الأسبق- فتاوى دار الإفتاء المصرية- الردّ على كتيب الفريضة الغائبة - ربيع الأول١٤٠٢هجرية -يناير ١٩٨٢م- موقع وزارة الأوقاف المصرية.

٨- ا. د حلمى صابر - مناهج البحث العلمى وضوابطه فى الإسلام- ايجيبت للطباعة ط٢ ٢٠٠٠م.

٩-د/ ذوقان عبيدات وآخرون- البحث العلمى مفهومه وأدواته وأساليبه - دار الفكر ط١٤١٨ه-١٩٩٨م.

١٠- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي- طبقات المفسرين - تحقيق: على محمد عمر- مكتبة وهبة –القاهرة طـ١سنة ١٣٩٦ه

١١- ا.د /على سامى النشار- مناهج البحث عند مفكرى الإسلام واكتشاف المنهج العلمى فى العالم الإسلامى–دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٨م.

١٢- علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات- تحقيق : إبراهيم الإبياري -دار الكتاب العربي – بيروت طـ١، ١٤٠٥هـ.

١٣- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- الجامع الصحيح المختصر- تحقيق : د. مصطفى ديب البغا – بيروت طـ٣، ١٤٠٧ ه- ١٩٨٧م.

١٤- محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى : ١١٨٢هـ)- سبل السلام- مكتبة مصطفى البابي الحلبي- طـ٤، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

15-محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤ه - ١٩٩٣ م.

١٦- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري- المستدرك على الصحيحين- تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية – بيروت طـ١ ، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

١٧- محمد بن عيسى بن سَوْرة بن الضحاك، الترمذي- سنن الترمذي - تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرون- مكتبة مصطفى البابي الحلبي - مصر طـ٢، ١٩٧٥م.

١٨- محمد بن عمر بن الحسين الرازي المعروف بالفخر الرازي - مفاتيح الغيب دار إحياء التراث العربى .

١٩- محمد الطيب النجار- القول المبين في سيرة سيد المرسلين- دار الندوة الجديدة بيروت لبنان- بدون.

٢٠- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي- تاج العروس من جواهر القاموس: - دار الهداية بدون.

٢١- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري- لسان العرب - دار صادر بيروت- بدون.

٢٢- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري- صحيح مسلم تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى- دار الجيل والآفاق بيروت بدون.

٢٣- وزارة الأوقاف المصرية- العهود والمواثيق فى الإسلام- مطابع وزارة الأوقاف- ١٩٩٥م.